

## Ancient Eloquence Works within Semiology and Discourse Analysis

الباحث: لخذاري سعد

Likhthari Sa'ad

### ABSTRACT

Ancient Greek and Arabs have left an enormous eloquence legacy characterized by comprehension and cohesion in general. Eloquence had been a cause for proud for both Arabs and Greeks. During the early beginnings of the modern and contemporary age modern studies appeared in the linguistic and literary field. Among the most prominent such sciences are semiology, discourse analysis and linguistics. Eloquence, which had been termed during the beginnings of the twentieth century as "ancients' stylistics" which performed its role in a certain period, had been noticed to withdraw. Voices, later on, rose to call to the importance of not to minimize the role of eloquence, to resurrect it in a new garment which responds to the requirements of science. What is known as "new eloquence" has been reformed. Within this topic, particularly, some ancient studies draw our attention, and how it may work in the fields of semiology and discourse analysis. The research takes two samples which draw the attention of modern Arab linguists, namely, "metaphor" within semiology, and "harmony theory" within discourse analysis. The problem of: how ancient eloquence works within semiology and discourse analysis? How semiology has been understood by the semiologists? To which extent the harmony theory" by Al-Jirjani may be made use in understanding the mechanism of discourse work? Ancient references in Arabic and contemplations of modern Arab linguists have been made use of. The aim is to support the eloquence topics which had been, and is still, a source of proud by the Arab civilization.

ترك لنا الأوائل القدامى من اليونان و العرب ميراثا بلاغيا ضخما تميّز بالشمول و التماسك في أغلبه

حيث كانت البلاغة مصدر اعتزاز و فخر للعرب كما كان ذلك لدى اليونان، و في مطلع العصر الحديث و المعاصر ظهرت دراسات حديثة هيمنت على ساحة الدراسات اللغوية و الأدبية، و من أبرز هذه العلوم الحديثة السيميائية و تحليل الخطاب و اللسانيات، و لوحظ تراجع للبلاغة التي أستخدم عليها مع مطلع القرن العشرين " أسلوبية القدماء" التي أدت دورها في وقت من الأوقات، و قد تعالت أصوات فيما بعد إلى ضرورة عدم تقزيم دور البلاغة و بعثها وفق حلة جديدة تستجيب لمتطلبات العلم، و تمّ الاصطلاح بما يسمّى " البلاغة الجديدة" ، و ضمن هذه القضية بالذات لفتتنا بعض مباحث البلاغة القديمة و كيف يمكن أن تشغل ضمن حقل السيميائية و تحليل الخطاب، فأخذنا أنموذجين استرعى انتباه اللغويين العرب المحدثين، و هما " الاستعارة" ضمن السيميائية، و "نظرية النظم" ضمن تحليل الخطاب، فعالجنا الإشكالية: كيف تشغل البلاغة القديمة ضمن السيميائية و تحليل الخطاب؟ و كيف فهمت الاستعارة عند السيميائيين؟، و إلى أي مدى يمكن الاستفادة من فكرة " نظرية النظم" للجرجاني في فهم آلية اشتغال الخطاب؟، و قد اعتمدنا في ذلك على مصادر عربية قديمة، و اجتهادات لمراجع لغويين عرب محدثين، و نريد بذلك الانتصار لقضايا البلاغة التي كانت مصدر الاعتزاز للحضارة العربية و لازالت.

### أولاً ( البلاغة القديمة:

#### 1) البلاغة القديمة عند اليونان:

نشأت البلاغة في الأصل من النزاعات القضائية التي نشأت حول ملكية " هيرون " ( hieron )، و " جيلون" ( gelon ) للأراضي التي سلبها طاغية من صقلية هو " جيلون " من مالكيها الأصليين، و قد اتخذت البلاغة في تلك المنازعات طابعاً إقناعياً يعتمد ترتيب الخطاب وفق خطة تسعى إلى تفنيد رأي الخصم و إثبات الأحقية في الملكية، و بهذا لم تكن البلاغة أبداً منحصرة في اللفظة و الصورة البلاغية. (1).

و قد مرّ التنظير للبلاغة اليونانية بعدة أطوار قبل أن يأخذ شكله و المكتمل مع "أرسطو"، و هكذا وجدنا " جورسياس " ( المحاور السوفسطائي لسقراط ) يضيف إلى الجنسيتين النثريين الخطابيين ( القضائي و المشوري )، جنساً ثالثاً هو الاحتفالي الذي كان منحصرًا قبل ذلك في الصناعة الشعرية. و ذلك عندما تحولت المراثي التي كانت تنظم شعراً إلى نثرية. و بهذا فقد أعطى " جورسياس" للبلاغة:

" منظورا استبداليا و جعل النثر يفتح على البلاغة، و البلاغة على الأسلوبية " ( 2)، أما " أفلاطون" فقد ميّز بين نوعين من البلاغة إحداهما سيئة و الأخرى جيّدة، الأولى هي التي تعكسها الخطب المحفلية و السوفسطائية، و تقوم على المغالطة و التوهيم، و الثانية هي التي يمثلها الجدليون و الفلاسفة، و يسميها " أفلاطون" " بسيخاغوجيا" ( psychagogie )، و هي وحدها القادرة على الوصول إلى الحقيقة. (3)

و تكاد التنظيرات البلاغية في المصنفات الكلاسيكية تكون نابعة من " أرسطو" الذي وضع كتابين هامين متعلقين بظواهر الخطاب، الأول يعالج " فن الخطابة" القائمة على التواصل مع الجمهور و الإقناع، و الثاني يعالج " فن الشعر" ( المسرحي و الدرامي )، القائم على عناصر فنية تتوخى التأثير العاطفي.

و يعتبر التمييز بين هذين المؤلفين شيئاً ضرورياً لفهم البلاغة الأرسطية القائمة على نسقين متقابلين

أحدهما بلاغي ( خطابي)، و الآخر شعري ( 4)، و ينبغي أن نؤكد أن تناسي هذا التمييز لن يؤدي إلا إلى الجناية على الإمبراطورية البلاغية.

إن البلاغة عند أرسطو هي مرادفة للخطابة و موضوعها الإقناع، حسب الحالات في أي موضوع كان

و يميّز " أرسطو" بين ثلاثة أجناس من الخطابة، هي: الخطابة القضائية، و الخطابة الاستثنائية، و الخطابة الاحتفالية، الأولى تلقى في المحاكم أمام القضاة و تتمحور حول العدل و الظلم، و الثانية تلقى في التجمعات الشعبية و تتمحور حول النافع و الضار، و الثالثة تلقى أمام جمع المتفرجين و موضوعها النبيل و الوضيع ( 5)، و تتبني كل خطبة على خمس عناصر تعكس المراحل التي تقطعها من الإنتاج إلى الإلقاء و هي:

(أ) الإيجاد أو البحث، أي البحث عن الحجج المناسبة للإقناع، و يقسمها أرسطو إلى حجج صناعية، و أخرى غير صناعية.

(ب) الترتيب أو النظم، و يقصد به ترتيب الخطيب لأجزاء القول في الخطبة، و وضع كل حجة في مكانها المناسب، و يتخذ الترتيب صياغات مختلفة باختلاف المخاطبين و المقامات، و خطاطته النموذجية تتكون من أربع مراحل هي: الاستهلال، و السرد و الحجاج و الاختتام.

(ج) البيان أو العبارة: و في هذه المرحلة يختار الخطيب العبارات و الألفاظ المناسبة للخطبة، و التي تدخل فيها المحسنات و الصور البلاغية.

(د) الذاكرة: أي ضرورة حفظ الخطيب لمكونات الخطبة و مضمونها.

(هـ) الإلقاء: و هو اعتماد الخطيب الوسائل الإلقائية المتعلقة بالصوت و الهيئة و الإشارات... الخ. (6). و بذلك يتضح أن البلاغة عند "أرسطو" مفهوم شاسع يتضمن كل العناصر المتعلقة بإنتاج الخطاب من مرسل و نص و متلقي، و أنها تشمل فضلا عن المكونات اللغوية، أبعادا أخرى تداولية و إقناعية، و لكن شاء تاريخ البلاغة عند الغرب أن يحتفظ بالقسم الثالث، أي العبارة و " نسي الناس شيئا فشيئا مكوناتها الأخرى، و احتفظوا بهذا الجزء على أنه الكل، مما أحدث في ممارسة الإنسان للظاهرة اللغوية تقاربا كاد يكون تطابقا بين الخطاب و النص، و من ثم بين الخطابة و الأدب" (7)، يجدر بنا نحن اليوم أن نعيد للبلاغة القديمة اليونانية و العربية دورها الوظيفي الذي سلب منها، فالبلاغة هي إمبراطورية قائمة بذاتها على حد تعبير " محمد العمري" الباحث البارز ضمن حقل تحديث البلاغة القديمة، و الذي دعا إلى تثمين الفكر العلمي الموضوعي الموجود في البلاغة و عدم الانصياع إلى بعض الآراء المعيارية التي تقوّض مشروعيتها كعلم له و عليه من الالتزامات و الضوابط.

## 2) البلاغة العربية القديمة:

بالرغم من أن البلاغة العربية لم تنشأ نشأة فلسفية همها البحث عن الحقيقة، و لم تصاحبها التحولات الديمقراطية التي صاحبت ظهور البلاغة اليونانية، و بالرغم مما يمكن أن يقال من أن البلاغة العربية نشأت في أحضان الشعر، فاهتمت أساسا بصورة الخطاب و شكله، و ليس بأبعاده التداولية و الإقناعية

و هو ما يمكن أن يرادف المعنى الاختزالي للبلاغة ( 8)، فإننا مع ذلك يجب ألا ننساق مع مثل هذه الآراء في عموميتها، حقا إن الاهتمام بالصور و المحسنات ظل الغالب في التراث البلاغي العربي،

و لكن يجب أن لا نغفل عن بعض المحطات المتميزة التي اهتمت في التنظير للبلاغة بمختلف جوانب الخطاب، و لا يتسع المقام هنا لتفصيل الحديث حول هذه المحطات، و لكن سنكتفي ببعض الإشارات التي من شأنها وضعنا على السبيل الصحيح للبحث في الموضوع.

و أول ما تجدر الإشارة إليه هو أن مؤسس البلاغة العربية هو " الجاحظ " الذي لم يدر بخلده أبدا أن يختزل البلاغة في الصور و المحسنات، فقد اهتم في كتبه و رسائله بالتنظير لمختلف عناصر الخطاب

المتكلم و النص و المتلقي. و اهتم اهتماما بالغا بالخطاب الإقناعي، و دعا إلى مناظرة الخصوم و البصر بالحجة، و المعرفة بمواضع الفرصة ( 9 )، مما يمكن معه القول بأن مفهوم البلاغة في ذهن "الجاحظ" لم يكن يختلف عن المفهوم الذي كان عند " أرسطو"، و لقد وجد البلاغيون اللاحقون كل شيء في بلاغة الجاحظ إلا الإقناع، مما سيساهم في تكريس مفهوم اختزالي للبلاغة، سيدعمه ذلك الاهتمام المبالغ فيه الذي حظيت به بلاغة " السكاكي"، أو بالأحرى شروح و تلخيصات كتاب " السكاكي" "مفتاح العلوم"، و التي اختزلت البلاغة في ثلاث مباحث هي: البيان و المعاني و البديع، علما أن المشروع العام لبلاغة السكاكي كان ينطلق من مفهوم شامل للبلاغة يتداخل فيه النحو و المنطق و الشعر فضلا عن المعاني و البيان. ( 10 )، و قد ظل هذا المفهوم الاختزالي للبلاغة مهيمنا في نظرتنا للبلاغة العربية

و كأن الفلاسفة المسلمين لم يستطيعوا تقريب المفهوم الشامل للبلاغة من خلال ترجمتهم لكتاب "الخطابة" لأرسطو.

سئل " العتابي": " ما البلاغة؟ فقال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة و لا حبسة و لا استعانة فهو بليغ... فقبل له: قد عرفنا الإعادة و الحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدثت قال عند مقاطع كلامه: يا هنا، و يا هيه، و اسمع مني، و استمع إلي، و افهم عني، أولست تفهم، أولست تعقل، فهذا كله و ما أشبهه عي و فساد " ( 11 )، و تحدث الجاحظ غير مرة عن البلاغة، فقال: " قال بعضهم – و هو من أحسن ما اجتبيناه و دوناه – لا يكون الكلام بمستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك " ( 12 ).

و قال " ابن المقفع" " لا خير في كلام لا يدل على معنائه، و لا يشير إلى مغزاه " ( 13 )، و قال " بشر ابن المعتمر" – و هو أحد بلغاء المعتزلة-: " ... و المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة

و كذلك ليس يتوضع بأن يكون من معاني العامة، و إنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال... " ( 14 )، و قال: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني

و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، و لكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، و يقسم أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار الحالات " ( 15 )، و ذكر الجاحظ إجماعهم على مذمة التكلف فقال: " و مدار اللائمة و مستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها تكلف " ( 16 ).

و لو رحنا نستقصي أقوالهم في البلاغة لما رأينا فيها ما يخرج عما ذكرناه من الأقوال السابقة، و خلاصتها أنها في الكلام الذي يصيب معناه وضوح و سلامة، مع خلوه من التكلف و الفصول، و

مراعاته لمقتضى الحال، و قد زاد بعضهم على ذلك شروطا تتصل باللفظ كأن تكون الألفاظ غير متوَعرة وحشية، و لا ساقطة سوقية، و أن يختار اللفظ الكريم للمعنى الشريف. فالبلاغة إذا - في نظر البلغاء- ليست أمرا مستقلا عن اللغة، بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التعبير أو الإبلاغ، و هي شاملة لعنصري اللغة، المعنى و اللفظ. لاحظ علماء البلاغة الصلة بين المعنيين اللغوي و الاصطلاحي للبلاغة، كما لاحظوا الصلة بين البلاغة و الفصاحة، قال " أبو هلال العسكري" ( 395هـ): " البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، و بلغتها غيري، و مبلغ الشيء منتهاه، و المبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه " ( 17)، و قال مشيرا إلى الصلة بين البلاغة و الفصاحة:

" فالفصاحة و البلاغة ترجعان إلى معنى واحد، و إن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار له. " ( 18)، نشير إلى أن البلغاء الذين أخذت البلاغة من كلامهم، و عرفت في أساليبهم قبل أن تعرف في حدود المؤلفين و تعريفات المصنفين، كانوا ينظرون إلى البلاغة على أنها هي الوسيلة إلى الإعراب عما في النفس بصورة تمنع من سوء التعبير و سوء الفهم و تصل بالمعنى إلى القلب. و لاشك أن ذلك يعني أنهم جعلوها في منزلة مساوية لمنزلة اللغة، إن لم تكن هي نفسها منزلتها لأنه إذا كانت اللغة هي وسيلة التفاهم بين الناس فإن كل ما يؤدي إلى هذه الغاية أو يعين على بلوغها فهو جزء من اللغة متمم لها و قيمته من قيمتها، و كذلك كانت البلاغة عند أصحابها من البلغاء المطبوعين.

لقد كان البلّغ المطبوع يعرف للبلاغة أو الفصاحة شروطا يحس بها فإراعيها في كلامه، و كان العربي المطبوع يسمع الكلام البلّغ أو الفصيح فيميّزه و يفعل له، و قد يطلق عليه حكما من الأحكام...

و قد أحس العربي الفصيح بالشروط فإراعاها، و ما رآه في الكلام من جمال فأعجب به و استحسنه

أو من قبح فنفر منه و استقبحه، و ما أطلقه إثر استحسانه أو استقباحه و ما وصف به المجيدين من أصحاب البيان، أو ما أخذه عليهم من التقصير أو الزلل. و كان ذلك النواة التي تطورت و عرفت فيما بعد بالبلاغة، و لم ينظر أحد من هؤلاء و أولئك إلى البلاغة، كما ينظر معظمنا إليها اليوم على أنها تزيين و زخرفة يلجأ إليها من يحب زخرفة القول أو يسعى وراء تزيين الكلام. لم تكن البلاغة هي العلوم المنفصلة، من البيان و البديع و المعاني، فكلها كانت تمشي وفق نظام واحد شامل و متماسك يعضد بعضه بعضا، فلا وجود للبيان دون المعاني، و لا المعاني دون البيان، و لا بديع من دون بيان و معاني.

**ثانيا: البلاغة القديمة و السيميائية:**

**(1) البلاغة اليونانية القديمة و السيمياء:**

تعددت المفاهيم و التغييرات حول مصطلح " السيميائيات"، فهناك من السيميائيين من يطلق عليه "السيميوطيقا" ( semiotica ) خاصة كتاب الإنجليزية الذين يفضلون استخدام " جون لوك" ( John Lock ) أو طريق استعارتها مباشرة من اليونانية ( semiotike )، كما أن دارسي الأدب الانجليزي يألّفون قوله في دراسته الشهيرة عن " طبيعة الفهم " أنها تعني مذهب العلامات ( doct of signs )، الذي يعرفه: " بأنه النشاط الذي يختص بالبحث في طبيعة العلامات التي يستخدمها

الذهن للوصول إلى فهم الأشياء أو في توصيل معارفه إلى الآخرين " ( 19 )، و البعض الآخر يطلق عليه " السيميولوجيا" ( sémiologie ) خاصة الباحثين الفرنسيين. يعد " تشارلز سندرير بيرس " ( ch, s, Peirce ) رائداً لـ

" السيميوطيقا " في إنجلترا ، و " فيرديناند دي سوسير " ( f, d, Saussure ) رائداً لـ " السيميولوجيا" بفرنسا، و هناك من يرى : " إن السيميولوجيا تعنى بدراسة نظام محدود من أنظمة التوصيل، من خلال علاماته و إشارات و دراسة الدلالات و المعاني أينما وجدت و على الخصوص في النظام اللغوي، أما السيميوطيقا فتهتم بدراسة الاتصال و الدلالة عبر أنظمة العلامات في علوم مختلفة و في تطبيقاتها و ممارستها الخيالية، فهي تتخصص في الاتصال الآلي، و الاتصال الحيواني، و تصل إلى أكثر أنظمة الاتصال الإنساني تعقيداً و تركيباً، لغة الأساطير و اللغة الشعرية مثلاً " ( 20 )، يبدو من خلال التعريف الطابع التوسعي للسيميوطيقا، فهي تنكس على كل العلوم التي لها صلة بالتدليل، و التي لها صلة بالعلامة، سواء كانت ظاهرة أم لها طابع الخفاء.

هناك من يرى تطابقاً بين المصطلحين، و يستخدمهما بمفهوم واحد استناداً إلى القرار الدولي الذي اتخذته الجمعية العالمية للسيميوطيقا التي انعقدت في فبراير 1969م بباريس و قررت تبني استخدام مصطلح "السيميوطيقا"، و تأسيس الرابطة الدولية للدراسات السيميوطيقية ( 21 )

السيميائية عند أرسطو ترادف " فن الإقناع " و الذي بدوره يدرس العلامات بدء من منتجها، مروراً باللغة الحاملة و المجسدة في العلامات اللغوية، و وصولاً إلى السامع الذي يلتقط هذه العلامات و يحلل شفراتها، فنجد أرسطو قد قدّم حديثاً مستقيماً حول هذا المجال البلاغي السيميائي، فالبلغة هي "فن الإقناع" و الذي هو مرادف للسيمياء.

فنقول أن البلاغة عنده كانت عبارة عن أنساق سيميائية، و أخذ "أرسطو" كل ذلك بتفصيل بيان، و ذلك بوجود ثلاثة عناصر تتدخل في " فن الإقناع "، فالعناصر الأول الخصائص المتعلقة بالخطيب، و إذا كان أرسطو يتعامل هنا مع هذه العوامل على قدم المساواة فقد سبق له في الخطابة أن استنكر تجاهل دارسي الخطابة للمقومات المحايدة أو المنطقية أو الموضوعية كما استنكر تشديدها على المقومات الانفعالية أو الذاتية، يقول أرسطو: " إن الذين يحررون المصنفات حول الخطابة لا يعالجون إلا جزء صغيراً، إن البراهين وحدها هي ذات طابع صناعي حقاً، و كل ما عداها فهي مجرد أشياء زائدة و الحال أنهم لا يقولون شيئاً بصدد " القياس المضمّر"، و هو الذي يمثل " جسد البرهان"، إنهم لا يتطرقون في أغلب الحالات إلا إلى أمور لا علاقة لها بالموضوع، إذ إن التجريح الشخصي و إثارة الشفقة و الغضب و ما شابه هذه الانفعالات لا تعالج الموضوع، و إنما التأثير في القاضي و حسب (...)، لا ينبغي تضليل القاضي بدفعه إلى الغضب أو السخط أو الشفقة، كأننا بهذا نوجع المسطرة التي نعتزم استعمالها، من البديهي إننا ينبغي في نقاش ما أن نبين أن الحدث حاصل الآن أم أنه غير حاصل أو أنه قد حدث في الماضي أم لم يحدث، أنه شيء هام جداً أم قليل الأهمية أنه عادل أم غير عادل " ( 22 )، في مجمل ما يلفتنا أرسطو من خلال هذا القول أن الجانب المهم الذي ينبغي للدارس الالتفات إليه هو تلك الخصائص الموجودة في الخطيب و التي لها الدور الكبير في الإقناع و التأثير الذي له الأهمية البالغة.

أما العنصر الثاني فهو الخصائص المتعلقة بالسامع أو الانفعالات التي يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين، و سمّاها أرسطو " النزوع" و قد عدّد أنواعه في كتابه " الخطابة " و هو: " الغضب و السكون و الصداقة و الكراهية و الخوف و الأمن و الخجل و الوقاحة و الإحسان و

الشفقة و السخط و الحسد و الاغتياب " ، و يؤكد ذلك في أخلاق "نيكوماخ" : " أطلق النزاع أو الأهواء على الرغبة و الغضب و الخوف و الأمن و الحسد و الفرح و الصداقة و الكراهية و الألم و الاغتياب و الشفقة و في كلمة واحدة أطلق هذه الكلمة على كل الإحساسات المصحوبة بألم و لذة " (23)، إن هذه الخصائص التي تحدث عنها أرسطو مما له الأهمية في الإبلاغ فهو يحوي رسائل و علامات يصنعها الخطيب و يتفاعل معها السامع، و بالتالي لا يجب إلغاءها أو التعامل معها و كأنها عوامل ثانوية في التبليغ و التدليل، و يطلق " ميشيل ميير" ( Michel Meyer ) على نوازع أرسطو " ما ينزع إليه الإنسان نزوعا طبيعيا" ( 24).

أما العنصر الثالث في " فن الإقناع" فهو الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فقد احتلت الخطابية إلى جانب الفلسفة المراتب المهمة في الحاضرة الأثينية، إذ لم يكن هذان المجالان مجرد حقول معرفية تجرب في المختبرات و في القاعات الدراسية، بل إن النزاع كان قائما بينهما بشأن السلطة و الحكم.

فمن ينبغي أن يحكم؟ الفلاسفة أم الخطباء؟، فإذا كان أفلاطون قد رجّح بعد مقتل أسناده سقراط ضحية الاختيارات السياسية و بالتالي الخطابية، كفة الفلسفة، و ذهب إلى أن الحاكم ينبغي أن يكون " ملكا فيلسوفا "، فإن السفسطائيين كانوا يرون أن الحاكمية ينبغي أن تعود إلى الخطباء، هنا كانت الخطابية باعتبارها السبيل لممارسة الحكم بضاعة باهظة الثمن، يعتبر أرسطو ملكة الكلام، بل الخطابية الملكة الأساسية التي تميّز الإنسان عن العجموات، بل يعتبر كفاءة التحوار المستند على القيمة الأسمى التي هي الفضيلة الإنسانية الخاصة المميزة للإنسان، يقول: " إذا كان من المخجل ألا يتمكن الإنسان من الدفاع عن نفسه بالقوة العضلية، فإثمه من العبث ألا يتمكن الإنسان من الدفاع عن نفسه بالكلمة، لا بالقوة العضلية يتميز الإنسان، و إذا أمكن القول إن من يستعمل بشكل غير عادل الكلمة يمكن أن يحدث أكبر الأضرار يمكن الجواب، باستثناء الفضيلة، إن ذلك مشترك بين كل الخيرات، و بالخصوص الخيرات الأكثر نفعا مثل القوة و الصحة و الثروة و الذكاء الاستراتيجي، إذ بهذه الخيرات يمكن أن نجني فوائد جمة، إذا استعملت بشكل عادل، و يمكن أن تكون بالغة الضرر، إذا استعملت بشكل يتنافى و العدل ( 25). نحن نلاحظ أقوال أرسطو و مفاهيمه و هي تبرهن مدى النضج الفكري في عصره، فكما سبق و أن قلنا السيميائية هي فن الإقناع الذي يعني بفن الخطابية أي البلاغة، نرى مدى تداخل السيميائية مع البلاغة، ففي عصره كانت البلاغة و السيميائية علمان يعنيان بالعلامات بين طرفي الخطاب، بدء من الإنتاج لدى الخطيب، مرورا بالبلاغة ( علامات لغوية ) ، و وصولا إلى المستمع ( المخاطب )، فكلاهما (البلاغة و السيميائية) متداخلان في الأنساق و الحدود.

حاول أرسطو أن يعين للخطابة مرسى و سندا علميا يجعلها قابلة للتعليم، كما يجعلها جنسا جديرا بالتحليل العلمي، بل حاول أن يلتبس فيها ذلك المكون الثابت و المتكرر الذي يجعلها طبيعة أمام التحليل العلمي الموضوعي. كأنه كان يسعى إلى إخضاعها لنفس قواعد المنطق الصوري و لنفس قواعد الجدل أو الطوبيقا، و هي القواعد و الملامح التي تكسب الخطاب صفة الموضوعية و البعد عن شوائب النزوات العاطفية و الذاتية المتلوتة، حيث يقول: " كل الناس يمارسون إن قليلا أو كثيرا الجدل و الخطابية، كل الناس يحاولون في حدود معينة دعم و تنفيذ فكرة ما و الدفاع و الاتهام. " (26).

ففن الإقناع كان يعني السيمياء عند الفلاسفة الإغريق لاسيما أرسطو و أفلاطون الذي يعتمد على المنطق الصوري، أي التأمل العقلاني المجرد الذي ينتج القوانين التي تتحكم في العملية الإبلغية السيميائية، فالدورة التواصلية عند أرسطو هي عبارة عن تمثيل دلالي إشاري يحمل معان، نعمل بقدر الإمكان على تكثيفها و تجليتها و رفع كل ما يمكن أن يشوبها من تشويش و سوء الفهم، نجد أرسطو قد فصل في ذلك في مختلف الكتب التي ألفها، " و قد وظف أفلاطون لفظ ( sémiotike ) للدلالة على فن الإقناع، كما اهتم أرسطو هو الآخر بنظرية المعنى و ظل عملهما في هذا المجال مرتبطا أشد بالمنطق الصوري " (27)، و قد تفتن البلاغيون الجدد في الغرب إلى أهمية الموروث البلاغي اليوناني القديم و ربطوه بالسيميائية و طوروا فيه خاصّة و أنّه يوظف لخدمة " السياسة " و يمكن أن يقدم خدمات جليلة لها فعبروا الزمان و المكان لينقلوا عن أرسطو مفاهيمه الثمينة في البلاغة و السيميائية.

## 2) البعد السيميائي " للاستعارة " - أمودجا - :

عنيت السيميائية عناية كبيرة بالاستعارة حتى اختزلت البلاغة القديمة فيها، بحيث أن النسق العام للعلامات الذي صورته السيميائية تمّ تطبيقه على مختلف الحقول التخصصية، و من ضمن هذه الحقول إعادة القراءة للبلاغة القديمة، فتمّ في خضم ذلك موقعة الاستعارة من " الرمز "، و موقعة الاستعارة من الأيقون، و كذلك من التمثيل الثلاثي للعلامة ( الممثل و الموضوع و المؤول )، و تمّ تتبع مختلف الأطوار التي تمر بها الاستعارة حتى يحصل التذليل، تشكل الاستعارة ميدان للعلامة لأن اللغة فيها من درجة ثانية، أي درجة مجازية، و في هذا الصدد يقول " إيكو " : " اللغة لا تشمل إلا على المجازات فهي تبدي عكس ما تخفي، فيقدر ما تكون غامضة و متعددة، بقدر ما تكون غنية بالرموز و الاستعارات "

(28)، و هذا الخفاء الموجود في اللغة سببه الاستعارات الترميزية التي أخذت السيميائية تجليه، و تشرح الآليات التي تتحكم فيه.

أحدثت الآراء التي جاء بها " بيرس " ثورة معرفية امتدت إلى المسرح و كل الأنظمة الإشارية و الصحافة و الإعلام، و البلاغة و الرسوم و اللوحات، فاللّصوير يمكن أن يتجسد في النظام المكتوب، و يمكن أن يكون في غير المكتوب، فالكون كله عبارة عن نظام من العلامات. إن الاستعارة باعتبارها علامة معقدة تتواجد بشكل كبير في الأعمال الأدبية، و لكي نفهم هذا النمط من النتاج اللغوي، و جب على السيميائية أن تولي أهمية بالغة لهذا العنصر المهم، و ما نقوله عن البعد السيميائي للاستعارة عند الغربيين، فلا يعني هذا الطرح بأنه في معزل عن الاستعارة و السيميائية عند العرب المحدثين، فالدراسات الغربية تنسم بالعمومية و الشمول و خاصية التعميم التي تطبع أعمالهم تجعل البلاغة العربية تخضع لتلك المفاهيم التحديثية التي تعرض لكل رغبة في التحديث البلاغي مهما كان أصل هذه البلاغة.

يُدرج " بيرس " الاستعارة ضمن العلامات الأيقونية، و " الأيقونة ( l'icone ) عنده تنشأ نتيجة ارتباط العلامة بالموضوع في المرتبة الأولانية من مراتب الوجود، بحيث يناسب الوجود الأول عند " بيرس " مرتبة الأولانية ( primeité )، و الوجود الثاني يوافق مرتبة الثانية ( secondité )، و الوجود الثالث يناسب مرتبة الثالثانية ( 29 )، حيث تعد الأيقونة " علامة فرعية أولى لبعد الموضوع، و هي تشبه الموضوع الذي تمثله " (30)، و تحيل عليه انطلاقا من تشابه خصائصهما مع خصائص هذا الموضوع.



إن الأيقونة ترتبط بالتمثيل و إنها تتجلى في العديد من الأشكال التصويرية إذ " يميّز " بيرس " في قسم الأيقونات بين الصور التي تشبه الموضوع من بعض الجوانب، و بين الرسوم البيانية التي تعيد انتاج بعض العلاقات بين أجزاء الموضوع، و بين الاستعارات التي لا ندرك داخلها سوى توازن عام " (31).

فترى بأن الأيقون تدخل عناصر عدة تشكل قوامه من استعارة صورة و استعارة لفظ كلامي بلاغي و رسم بياني، فيعد بذلك جامعا لعدة أشياء يتميز بها عما سواه من المفاهيم.

يعقد " ريكور " صلة بين الاستعارة و الرمز نظرا لأهمية نظرية الاستعارة في تجاوز الصعوبة التي تتميز بها الرموز، و الرموز هي عبارة عن علامات تقترن بموضوعها في المرتبة الثالثة من مراتب الوجود، حيث يعرف بيرس الرمز بأنه علامة تحيل على الموضوع الذي تعينه بموجب تلازمات أفكار عامة تحدد مؤول الرمز بالإحالة على هذا الموضوع، إنه هو ذاته نمط عام أو قانون أي علامة قانون. ( 32 )، و اشتغال العلامة كرمز أو كقانون يتم عبر عرف " فالرمز علامة اعتبارية، تستند في ارتباطها مع موضوعها إلى عرف، و أبرز مثال على ذلك هو العلامة اللسانية " (33)، هذا ما يجعل الرمز يتصف بالعمومية التي تجعل من كل كلمة و كل علامة اتفاقية رمزا.

إن نظرية الاستعارة تمر عبر ثلاث خطوات يوضحها ريكور: (34)

~ تحديد النواة الدلالية التي يتسم بها كل رمز، مهما بلغت الفروق بينهما، على أساس بنية المعنى القائم في الأقوال الاستعارية.

~ ينتج لنا العمل الاستعاري للغة أن نعزل الطبقة اللغوية، و أن نفرز مبدأ انتشارها من خلال منهج المقارنة.

~ يمثل الفهم الجديد للرموز مبحث تطورات لاحقة في نظرية الاستعارة، قد تبقى من دونه خفية غير منظورة، حيث يعمل هذا الفهم الجديد للرموز على إكمال نظرية الاستعارة و خلق خطوات وسطى تسمح بردم الهوة بين الاستعارة و الرموز.

من هنا يرى ريكور أن الاستعارة ترتبط بالرمز في جانبها الدلالي، لذلك تعد العنصر الكاشف المناسب لإضاءة هذا الجانب الذي له مساس باللغة، و لكي تؤدي الاستعارة وظيفتها في الكشف عن الشق الدلالي للرمز، يؤكد ريكور على ضرورة دراستها وفق النظرية التفاعلية لا الاستبدالية. قلنا بأن الاستعارة كعلامة تخضع لعلاقة ثلاثية، و هي:

~ الاستعارة و الممثل، بحيث يعد الممثل الحد الأول للاستعارة باعتبارها علامة سيميائية، حيث تبدأ عملية التحليل السيميويطقي للاستعارة، بدء بالممثل الذي يحيل على موضوع الاستعارة المباشر عبر مؤولها، و الممثل هو الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر، يطلق عليه بيرس " الموضوع"

وفق ظروف خاصة في الإحالة يوفرها المؤول باعتباره الشرط الضروري للحديث عن بناء علامي. (35)

و تعقد الصلة بين ممثل الاستعارة، و موضوعها المباشر عن طريق ما أسماه بيرس " التعبير"، و هو كما عرفه ايكو: " كل الوقائع المعروفة حول هذا الموضوع " ( 36 )، أي الفكرة التي تتكون في ذهن المتلقي

وقد خصص ايكو في موضع آخر من كتابه " القارئ في الحكاية"، تعريفا أكثر تطورا للتعبير يقول فيه:

" التعبير هو الفكرة التي تولدها العلامة في ذهن الشارح، حتى لو لم نعاين وجودا فعلياً للشارح " (37)

فكل ما يرد من علامات ينعكس في الذهن كأفكار متمثلة سواء كانت هذه العلامات لغوية أم غير لغوية فالممثل هو النهاية زخم من الأفكار.

~ الاستعارة و الموضوع، حيث يشكل الموضوع الحد الثاني للاستعارة، و هو عنصر مهم في التركيب العلامى لأنه يقدم معرفة حول العلامة، إذ يقوم الممثل بالإحالة على هذا الموضوع عن طريق التعبير

مما يعتقد ربطا وظيفيا بين العلامة و الموضوع الذي تحيل عليه فعليا، و بدون هذا الربط لن يكون للعلامة أي قيمة تقريبية و لن تكون أبدا محل إثبات له معنى. (38)

يمثل الموضوع معرفة مفترضة تقدم مجموعة من المعلومات يفترضها المتلقي حول العلامة، غير أن الموضوع ليس بالضرورة شيئا أو حدثا أو وضعية، بل يعني به "بيرس" كل ما يتبادر إلى الذهن. (39)

لكن ما يتبادر إلى الذهن ليس في وسعه أن يوفر كل المعلومات المحاطة بالعلامة، و ذلك " نتيجة لما يسميه بيرس بقصور العلامة ( l' imperfection de signe ) " (40)، لذلك يحتاج الموضوع دائما إلى مؤول، " فيما أننا مجبرون دائما من أجل تحديد علامة، على استحضار علامة أخرى، فإن الموضوع لا يشكل حدًا نهائيا لمتوالية إبلاغية ما " (41)، لذلك فهو يحتاج دائما إلى مؤول .

~ الاستعارة و المؤول، حيث يقول إيكو بهذا الصدد: " الخصوصية الأساسية للعلامة هي قدرتها على استثارة التأويل " ( 42 )، و هذا ما يحدث في الاستعارة باعتبارها علامة سيميائية يقوم حدها الثالث بحركة نشطة تفتح باب التأويل على مصراعيه، يعرف هذا الحد الثالث بالمؤول و هو الحد الأكثر دينامية داخل البناء الثلاثي للعلامة في تصور بيرس، و " المؤول ليس هو من يؤول العلامة، إنه علامة تحيل ممثلا على موضوعه " ( 43 )، أي يقوم بدور الوساطة بين ممثل العلامة و موضوعها، إذ يعبر عن علامة أولى تتولد عنها علامة ثانية، و عن الثانية علامة ثالثة، و عن الثالثة علامة رابعة، إذ تشكل هذه الحركة التوليدية للعلامات ما يعرف عند بيرس " السيميوزيس " لكن هذا لا يعني أن المؤول هو التأويل، إنما هو نقطة البداية التي يتشكل فيها المعنى، حيث إنه يرتبط بالتأويل و يعد منطلقا له، فالمؤول يقتضي وضعاً لا يتطلب سياق خاص، و لا يتطلب شخصا يقوم بالتأويل، في حين يمكن اعتبار التأويل محاولة لإمساك خيوط الدلالة، و الدفع بها إلى نقطة نهائية تعد خاتمة لمسار تأويلي (44)، و نجد ذلك بشدة في الاستعارة.

### ثالثا: البلاغة و تحليل الخطاب :

يهدف الخطاب إلى إعطاء وصف صريح للوحدات اللغوية تحت الدراسة و ذلك من خلال بعدين لهذا الوصف هما:

- 1- النص: الذي يعني بنية الخطاب الداخلية التي تتألف منها المفردات، و التراكيب و الجمل.
- 2- السياق: يعني دراسة الخطاب في ضوء الظروف الخارجية و المؤثرات المباشرة عليه و ظروف إنتاجه، كالخطاب الصحفي الذي هو خطاب اجتماعي مرتبط بالمجتمع الذي يوجه إليه و يحمل قيمه. (45)

كما يهدف الخطاب إلى فك شفرة النص بالتعرف على ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفاهيم

فتحليل الخطاب عبارة عن محاولة للتعرف على الرسائل التي يود النص أن يرسلها و يضعها في سياقها التاريخي و الاجتماعي، و هو يضمن في داخله هدف أو أكثر، و له مرجعية أو مرجعيات، و له مصادر يشتق منها موافقه و توجهاته. (46)

إن الخطاب أكبر من النص، و أشمل من الإيديولوجيا، و يؤثر في كيفية و نوعية استخدام اللغة، يتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص و هو ما نسميه بتحليل السياق، فالسياق جزء أساسي من عملية تحليل الخطاب. (47)

لا تعتمد العمليات الاتصالية فقط على السياق حتى تفهم، بل إنها تغير ذلك السياق، و يمكن أن ننشئ داخل السياق النصي سياقاً آخر، له مسرده الخاص من المؤشرات، بمعنى أننا نتحكم في النص و نكيفة حسب الأهداف المنوط بنا تحقيقها، فالنص يحكمه نظام خاص نساهم نحن في تكوينه، و بالفعل يمكن إقحام سياقات جديدة داخل السياقات المركبة. (48)

الخطاب يتشكل من نصوص و ممارسات اجتماعية، و قد ميز " هودج" و " كريس" بين النص و الخطاب من ناحية المفاهيم و الإجراءات النظرية و المنهجية و الأهداف، فالخطاب هو العملية الاجتماعية التي تكون النصوص متضمنة فيهن و تحليل النص هو جزء من تحليل الخطاب في البحوث الاجتماعية. (49)

إن أسلوب " تحليل الخطاب " لا يقف عند حد البنية السطحية للنصوص، إنما يتجاوزها إلى محاولته القراءة التأويلية للنص نحو استنطاق مختلف الرموز ز الإشارات التي يحيل إليها النص، أو ما يعبر عنه بـ " ما لم يقله النص" أو " ما سكت عنه النص " .

~ نظرية النظم للجرجاني - أنموذجا - و تحليل الخطاب :

لقب أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بـ " شيخ البلاغة " حيث كان له الفضل الكبير في إعلاء شأن البلاغة، و قد كانت آراءه فيها أصيلة و موضوعية إلى حد بعيد مقارنة بمن سبقوه و من جاءوا بعده من البلاغيين. و فكرة " النظم " التي جاء بها الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " كانت فكرة عظيمة نستطيع أن نفيد منها ضمن تحليل الخطاب في عصرنا الحالي ، و الذي نشأ في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، و سنحاول التماس ذلك فيما تبقى من البحث.

بدأت إرصاصات " لسانيات النص " على يد العالم اللغوي " هاريس " ( harisse ) في بداية النصف الثاني من القرن الماضي، ثم تطورت الدراسات على يد العالم الهولندي " فان دايك " ( van dayk )

وظل هذا في تطوره حتى أصبح حقيقة راسخة على يد " ديبوجراند " ( Dy bogrand ) و " دريسلر "

( drysler ) في الثمانينات من القرن العشرين. (50) حيث حدد هذان الأخيران معايير سبعة ينضبط من خلالها النص، و يتأكد دور الربط من خلالها لتحقيق ما يطلق عليه النصية، و هذه المعايير هي: " الربط، و التماسك الدلالي و القصدية و المقبولية و الإخبارية و الموقفية و التناص"، و كان " سعد مصلوح" من أوائل الذين نقلوا الفكر الغربي عن نحو النص إلى العربية، و أصدر " محمد خطابي" كتابه

" لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب- " سنة 1991م، ثم نشر الدكتور " صلاح فضل" كتابه

" بلاغة الخطاب و علم النص " سنة 1992م، إلا أن كتاب " علم لغة النص المفاهيم و الاتجاهات " للباحث " سعيد حسن بحيري " الذي نشر سنة 1993م عدّ أول كتاب مفصل نقل " علم لغة النص " إلى العربية نقلا و افيا.

يمكن القول أن " نظرية النظم " هي المعين الذي استقى منه علماء النص أفكارهم حيث تتقارب أفكار النظريتين إلى حد كبير. فإن من يقرأ " دلائل الإعجاز " يخلص إلى أن الجرجاني و هو يناقش مسألة الإعجاز و البلاغة و الفصاحة كان لديه منطلق أساسي و هو أن النص كي يحقق تأثيره لابد من مراعاة عملية التواصل و مكوناتها المحدودة في ثلاثة عناصر هي المبدع و النص و المتلقي.(51) و لذلك اشترط أن يكون التناسق أولا في عقل المبدع و فكره، و بعدهما في الألفاظ، يقول الجرجاني: " ليس الغرض بنظم الكلام إن تواتت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " ( 52 )، و بعد انجاز المبدع لمهمته يكون النص أو الخطاب حلقة وصل بين المبدع و المتلقي ( 53 )، الذي لا يمكن النظر إليه على أنه متلق واحد، و إنما هي قراءة من بين قراءات مختلفة تتعامل مع الخطاب بحسب أفاقها و مداركها و لعل هذا من الأسباب التي تجعل النص يخترق الزمان و المكان. إن الجرجاني لامس جانبها مهما من مباحث الدلالة يرتبط بالجانب التداولي، و هو المتلقي الذي يبذل جهدا في فك شفرة المعاني من خلال الاستدلال العقلي على المعنى المقصود، و هذا ما يجعل المتلقي طرفا مساهما في بناء النص من حيث تأويله و بيان دلالاته (54)، و يقول " الجرجاني " مخاطبا القارئ: " و جملة ما أردت أن أبينه لك أنه لابد لأي كلام تستحسنه من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة و علة معقولة " (55). هذا و أولى علماء النص اهتماما بالغا بالمتلقي، " فإذا كانت البنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية و كانت متعلقة و مشروطة بمدى التماسك الكلي للنص فإن الذي يحدد إطارها هو المتلقي، لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم و التفسير الذي يضيفه القارئ على النص " ( 56 )، و تحتاج العلاقة بين النص و القارئ إلى إيضاح يهتم اتجاهات تحليل النص فيه من خلال اهتمامها بعملية القراءة، لهذا فإنه لا ينبغي للقارئ أن يركز قراءته على إدراك العلاقات بين المستويات المتعددة للغة ( 57 )، فبنية النص إذا بنيت لغوية منطوقة في المقام الأول، غير أنها مرتبطة في استمرارها و تحقق دلالتها بأركان التواصل، و هي المنتج أو المنتجون و المتلقي أو المتلقون، و التفاعل بين الطرفين من خلال عملية التلقي ذلك المكون الذي يضمن استمرار النص أو تتابع سلسلة الاتصال أو انقطاعها عند نقطة محددة أو في موضع بعينه، و يشترط في التتابع تحقق المغزى، و إذا فقد النص أي عنصر من العناصر انهارت بنيته غير أنها تبقى قائمة مختلفة بدلالاتها المحددة ( 58 )، و عن انسجام النص و اتساقه سبق الجرجاني المحدثين في التعريف بهما ، و إن كانت التعاريف متناثرة هنا و هناك في كتابه و هي نفس المبادئ التي اعتمد عليها علماء النص، إذ نجد " هاليداي " ( Hallyday ) في كتابه " الاتساق في اللغة الانجليزية " الذي نشره سنة 1976م يتناول اتساق النصوص، و وجدت كلها عند الجرجاني و هي " الإحالة و الاستبدال و الحذف و الاتساق المعجمي "، و عن وسائل الانسجام يشير "فان دايك" إليها من خلال كتابه " النص و السياق " الصادر سنة 1976م و هي تطابق الذوات و العلاقات ( التضامن و الجزء و الكل و الملكية ) و التطابق الإحالي، و لعل أكبر تطابق بين ما جاء به الجرجاني، و ما أتى به علماء النص في الانسجام هو كتاب " تحليل الخطاب " لمؤلفيه " براون " و "بول" الذي نشر عام 1983م ، إذ ركز هذان الباحثان على وظيفة اللغة في إنها للإخبار و التأثير في المتلقي

كما أنهما أشارا إلى مبادئ الانسجام التي ألفنا توأجدها عند الجرجاني، و هي: المقام و التأويل المحلي و التشابه و الترابطات بين الجمل، و قد تحدث الجرجاني عن العنصر الأخير مطولا تحت عنوان "الوصل و الفصل" و اعتبر هذا العنصر مسألة عظيمة في قوله: " اعلم أنه ما من علم من علوم العربية أنت تقول فيه خفي غامض و دقيق صعب، و اعلم إن هذا الباب أغمض و أخفى و أدق و أصعب " (59)

و يذهب إلى أن ملاك البلاغة هو إتقان الفصل و الوصل، و أن من أتقنه سهل عليه امتلاك بقية الأبواب و يتمحور جهد الجرجاني في باب الفصل و الوصل حول ما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها و المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى (60)، و يقوم هذا المبدأ عنده على أساسين نحوي و معنوي، الأساس النحوي نقصد به انطلاق الجرجاني من مجموعة من القواعد و القيود النحوية التي بلورها النحاة من أجل ضبط العطف.

و هي عطف المفرد على المفرد، و عطف الجملة على الجملة. ( 61 ) و الذي نستنتج أن الجرجاني ينطلق من عطف المفرد على المفرد كأصل يبني عليه عطف الجملة على الجملة خاصة تلك التي لها محل من الإعراب.

نجد معنى الجمع حيث اقترح الجرجاني في هذا المبدأ التفسير للعطف الحاصل بين جملتين لا محل لهما من الإعراب، إذ لما كان مبرر العطف بين جملتين هو وجود حكم مشترك بينهما، و الحكم في هذه الحالة منعدم، اقترح الجرجاني البحث عن علة تبرر العطف و قد وجدها فيما يسميه " معنى الجمع" و المثال الذي ضربه " زيد قائم و عمرو قاعد " على أن مبرر العطف هو إما أن زيدا كائن بسبب من عمرو، و إما أن زيدا و عمرا كالنظيرين أو الشريكين بحيث أن عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني.

نجد، النظير و الشبيه و النقيض، هذا المبدأ متصل في الحقيقة بالأول، و غير مستقل عنه و هو مجوز العطف معنويا حين امتناعه معياريا، هذا المبدأ خاص بما يسميه الجرجاني " الإخبار عن الأول و الثاني"، و القيد المجوز للعطف هنا أن يكون الخبران شبيهين أو نقيضين أو نظيرين. كذلك، قياس العطف على الشرط و الجزاء، " مما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، و لكن تعطف على جملة بينها و بين هذه التي تعطف جملة أو جملتين " (62)، على هذا النحو ينتقل الجرجاني من عطف جملتين متجاورتين إلى عطف جملتين مفصولتين، و يسلك في معالجة هذا النوع الثاني طريقتين، أولاهما قائمة على الشرح، و الثانية على القياس ( قياس العطف على الشرط و الجزاء ).

هذا عن الوصل، أما عن الفصل فقد تحدث الجرجاني عنه كثيرا، إذ اهتم بالعلاقة الخفية القائمة بين الجمل المشكلة للخطاب، و هي علاقة لا تعتمد على رابط شكلي ظاهر، و من هذه العلاقة أورد الجرجاني أمثلة من القرآن نذكر واحدا منها، مثال قوله تعالى: { إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة، و لهم عذاب عظيم } الآية: 6، 7، من سورة البقرة. قوله: " لا يؤمنون" تأكيد لقوله: " سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذروهم "

و قوله: " ختم الله على قلوبهم " تأكيد ثان أبلغ من الأول لأن من كان حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، و بهذا المعنى يعتبر تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة من وسائل تماسك الخطاب رغم أن كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي.

البلاغة علم ثمين و كنز دفين مهما كان مصدرها يونانية، عربية أم أجنبية، فهي العلم الكلي الذي يقوّم اللسان و يحذو به نحو الكمال و الجمال الساحر، و تعتبر من العلوم الثمينة التي احتقى اللغويون العرب القدامى بها، و في خضم التفجر المعرفي اللغوي و الأدبي في العصر الحديث، و هيمنة الترجمات الغربية على الساحة العربية ، تراجعت مكانة البلاغة القديمة، فكان من واجبنا حمل اللواء

و ذلك بالبحث عن المكان اللائق لهذا العلم النفيس، في خضم هذه الدراسات الحديثة، خاصة السيميائية و تحليل الخطاب، كونهما حقلان أخذتا جاذبية و موضة كبيرة لدى ألسن النقاد و الدارسين، و كذلك من جهة ثانية نظرا للاشتغال المتنامي للبلاغة ضمن هذه الحقول، و قد شاهدنا ذلك في البحث وفق أنموذجين، الأنموذج الأول و هو الاستعارة و السيميائية، و الأنموذج الثاني و هو " نظرية النظم " كآلية لتفسير و تحليل الخطاب، و نحن ندعو في هذه الدراسة إلى ضرورة المزيد من التنقيب قصد إنشاء ما يصطلح عليه " تضافر الاختصاصات "، فالسيميائية تستطيع تغذية أنساقها من البلاغة، و كذا الأمر في حقل تحليل الخطاب كبلاغة إجرائية تعتمد لتحليله، و تسهم في فهم آلية اشتغاله .

~ الهوامش:

- 1- رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة و تقديم: عبد الكبير الشرفاوي، نشر الفنك للغة العربية، 1994، ص: 38-39 .
- 2- المرجع نفسه، ص: 41-42 .
- 3- المرجع نفسه، ص: 41-45 .
- 4- المرجع نفسه، ص: 44-45 .
- 5- محمد الولي، " من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات"، مجلة فكر و نقد، العدد: 20، ص: 121-122 .
- 6- رولان بارت، البلاغة القديمة، ص: 97-98 .
- 7- حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية لمصطلح الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس 1998، ص: 17.
- 8- المرجع نفسه، ص: 18 .
- 9- المرجع نفسه، ص: 21-226 .
- 10- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها و امتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999، ص: 481-485 .
- 11- الجاحظ، البيان و التبیین، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، ج 1، مصر، 1998، ص: 113 .
- 12- المصدر نفسه، ص: 115 .
- 13- المصدر نفسه، ص: 116.
- 14- المصدر نفسه، ص: 136 .
- 15- المصدر نفسه، ص: 138-139 .
- 16- المصدر نفسه، ص: 13 .
- 17- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، 1989، ص: 06 .
- 18- المصدر نفسه، ص: 07 .
- 19- محمد عنائي، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، 1996، ص: 153-154 .
- 20- محمد عزام، النقد و الدلالة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1996، ص: 09 .
- 21- ينظر: رمان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار الفكر للدراسات و النشر، القاهرة 1990 .
- 22- Aristote, rhétorique, traduction : andré wartelle, ed, livre de poche, France 1991, pp : 76- 77.
- 23- Aristote, éthique a nicomaque, ed, livre de poche, ellipse, France , 1992

P : 88.

Michel meyer, introduction in Aristotle, rhétorique, livre de poche, -24  
kindle Edition, France, 2012, p : 33.

- 25- Aristote, rhétorique, p : 80.
- 26- ibid, p : 75.
- 27- أنور المرتجى، سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص: 03.
- 28- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 2000، ص: 14-15 .
- 29- محمد الماكري، الشكل و الخطاب – مدخل لتحليل ظاهراتي-، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 1991، ص: 43.
- 30- جيرار دولودال و جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات ( سيميوطيقا شارل سندرس بيرس)، تر: عبد الرحمان بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2000، ص: 78.
- 31- أمبيرتو إيكو، العلامة ( تحليل المفهوم و تاريخه )، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2007، ص: 96 .
- 32- ينظر: محمد الماكري، الشكل و الخطاب – مدخل لتحليل ظاهراتي-، ص: 51 .
- 33- أمبيرتو إيكو، العلامة – تحليل المفهوم و تاريخه-، ص: 91 .
- 34- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل ( الخطاب و فائض المعنى )، تر: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط، 2003، ص: 96 .
- 35- ينظر: سعيد بنكراد، " المؤول و العلامة و التأويل "، مجلة علامات، العدد: 09، 1998.
- 36- أمبيرتو إيكو، الفارئ في الحكاية ( التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية)، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص: 34 .
- 37- المرجع نفسه، ص: 35 .
- 38- أمبيرتو إيكو، العلامة ( تحليل المفهوم و تاريخه )، ص: 215 .
- 39- ينظر: جيرار دولودال، جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات ( مدخل إلى سيميوطيقا ش س، بيرس)، ص: 68.
- 40- سعيد بنكراد، " المؤول و العلامة و التأويل "، ص: 32.
- 41- المرجع نفسه، ص: 32.
- 42- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائية و التفكيكية، ص: 108 .
- 43- جيرار دولودال و جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات ( مدخل إلى سيميوطيقا ش س بيرس)، ص: 18.
- 44- ينظر: سعيد بنكراد، " المؤول و العلامة و التأويل " .



- 45- ينظر: محمود عكاشة ، لغة الخطاب السياسي، دراسة تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، القاهرة  
مكتبة النهضة المصرية، 2002، مقدمة الكتاب ص (ب).
- 46- ينظر: أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر و التوزيع، القاهرة،  
2007، ص: 21-22 .
- 47- ينظر: علي بن شويل القرني، " الخطاب الإعلامي العربي"، المجلة المصرية لبحوث الإعلام،  
العدد: 01، يناير 1997، ص: 39.
- 48- ج. ب. براون، ج. بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزلطني، منير التركي، جامعة  
الملك سعود، 1997، ص: 59 .
- 49- Norman fairchough, discourse and text : linguistic and intertextual  
analysis  
Within discourse analysis, discourse and society, vol: 03, n 02, 1992, pp:  
193, 217.
- 50- أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، 2001، ص:  
279 .
- 51- أحمد المنادي، التلقي و التواصل الأدبي – قراءة في نموذج التراث-، عالم المعرفة، 2005،  
ص: 183 .
- 52- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: فايز الداية، ط1، دار الفكر، 2008، ص: 51 .
- 53- أحمد المنادي، التلقي و التواصل الأدبي – قراءة في نموذج التراث -، ص: 179 .
- 54- المرجع نفسه، ص: 179 .
- 55- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 51 .
- 56- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، 1992، ص: 260 .
- 57- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، مكتبة مصر، 1993، ص: 18 .
- 58- المرجع نفسه، ص: 07 .
- 59- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 187 .
- 60- المصدر نفسه، ص: 171 .
- 61- ينظر: المصدر نفسه، ص: 173 .
- 62- ينظر: المصدر نفسه، ص: 175 .
- ~ قائمة المصادر و المراجع و المجالات :**

#### (أ) المصادر:

- 1- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، 1989 .
- 2- الجاحظ، البيان و التبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط7، مصر، 1998،  
ج1.
- 3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: فايز الداية، ط1، دار الفكر، 2008 .

#### (ب) المراجع :

- 1- أحمد المنادي، التلقي و التواصل الأدبي – قراءة في نموذج التراث-، عالم المعرفة، 2005 .
- 2- أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر و التوزيع، القاهرة، 2007 .
- 3- أحمد عيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، 2001 .
- 4- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 2000 .
- 5- أمبيرتو إيكو، العلامة ( تحليل المفهوم و تاريخه )، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2007 .
- 6- أمبيرتو إيكو، الفارئ في الحكاية ( التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية )، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1996 .
- 7- أنور المرتجي، سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، 1987 .
- 8- بول ريكو، نظرية التأويل ( الخطاب و فائض المعنى ) ، تر: سعيد الغانمي، ط1 ، المركز الثقافي العربي، الرباط، 2003 .
- 9- ج. ب. براون، ج. بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزلطني، منير التركي، جامعة الملك سعود، 1997 .
- 10- جيرار دولودال، جويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات ( سيميوطيقا شارل سندر (بيرس)
- تر: عبد الرحمان بو علي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2000 .
- 11- حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية لمصطلح الحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس، 1998 م .
- 12- رمان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار الفكر للدراسات و النشر، القاهرة، 1990 م .
- 13- رولان بارت، البلاغة القديمة، ترجمة و تقديم: عبد الكبير الشراوي، نشر الفنك للغة العربية، 1994 م .
- 14- محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها و امتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999 م .
- 15- محمد الماكري، الشكل و الخطاب – مدخل لتحليل ظاهراتي -، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط، 1991 م .
- 16- محمد عزام، النقد و الدلالة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1996 م .
- 17- محمد عنائي، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة 1996 م .
- 18- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 2002 م .
- 19- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، مكتبة مصر، مصر، 1993 م .
- 20- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، 1992 م .

ج) المجلات:

- 1- سعيد بنكراد، " المؤول و العلامة و التأويل " ، مجلة علامات، العدد: 09، 1998 م .
- 2- علي بن شويل القرني، " الخطاب الإعلامي العربي " ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد: 09  
1998 م .
- 3- محمد الولي، " من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات " ، مجلة فكر و نقد، العدد: 20 .

د) المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Aristote, éthique a nicomaque, ed, livre de poche, ellipes, France, 1992.
- 2- Aristote, rhétorique, traduction : andré wartelle, ed, livre de poche, France  
1991.
- 3- Michel Meyer, introduction in Aristote, rhétorique, livre de poche, kindle  
Edition, France, 2012.
- 4- Norman fairchough, discourse and text : linguistic and intertextual  
analysis Within discourse analysis, discourse and society, vol: 03, n  
02, 1992 .